# الجهود الألمانية لتطوير الزراعة في الكاميرون في الربع الأول من القرن العشرين

**د. نصير محمود شكر الجبوري**
معهد إعداد المعلمات الرصافة/1

**الخلاصـــــة**

ناقش هذا البحث الاهتمام الذي أبداه الاستعمار الألماني في الكاميرون بالموارد الطبيعية الزراعية الحيوانية والمعدنية . وتم التطرق بالتفصيل إلى سبل هذا الاهتمام من خلال شرحٍ وافٍ عن البرامج الزراعية وتلك المتعلق بالثروة الحيوانية التي أدت إلى تحسين هذه الثروة وزيادة إنتاجيتها كماً ونوعاً . أيضاً ناقش البحث أنواع وأصناف النباتات والمزروعات وما تنتجه بالأرقام الدقيقة الموثقة من السجلات الرسمية الألمانية . لم يتجاوز البحث عن دور البحوث العلمية في إنقاذ أعداد كبيرة من الثروة الحيوانية التي كانت تهلك بسبب الأوبئة التي تصيبها وزيادة أعدادها وتحسين نوعياتها . أيضاً ناقش البحث اهتمام الاستعمار الألماني بالثروة المعدنية وصناعة التعدين ، حيث استخرج العديد من المعادن ذات الكميات التجارية والتي يستفاد منها في الصناعات المختلفة .

**المقدمة**

رغم المساوئ والأحزان التي يوصم بها الاستعمار أياً كان ، ولو عدنا لسالف الزمان مقلبين صحف الممالك والبلدان ، ستبرز حقيقة شاخصة للعيان ، أن ، التباين والبيان بين استعمارين ، أمرٌ لا يختلف عليه اثنان. فليس هناك حاجة لقولنا أن كل إستعمار قد اتسم بصفات ميزته عن أنداده من المستعمرين ، حُسبت له وأخرى حُسبت عليه . ولعلنا نرمي من هذا الاستهلال التمهيد الى التعريف بوجه من أوجه الاستعمار الألماني في غرب أفريقيا وبالأخص متناول بحثنا هذا الكاميرون .

فمن الأمور التي لا تخفى على الجميع أن الاستعمار الألماني قد وفد على هذه القارة متأخراً عن أنداده الأوربيين بقرون ، وكان كغيره من المستعمرين طامعاً ، ساعياً وراء المكاسب وإثبات الوجود كقوة فاعلة في العالم . وهنا يبرز سؤالين حتميين: هل سيسعى الاستعمار الألماني الى تقليد سواه من المستعمرين ؟ أم سيعمد الى إستنباط أسلوب لم يعهده إستعمار قبله ؟ يتلخص الجواب في أنه جاء بخلطة إستعمارية زاوجت ما بين الأمرين . فقد حرص الاستعمار الألماني استيعاب كل اساليب القوى الاستعمارية التي سبقته وتلك التي عاصرته ، واضعاً في حسبانه أن الارض التي استطاع انتزاعها من أفواه أولئك المستعمرين بشتى السبل لم تكن بقدر تلك التي بحوزتهم ، من ناحية المساحة ، والترابط

فيما بينها ، الأهمية والموارد التي تحتويها . لذا كان من الواجب عليه القبول بحصته والعمل على الاستفادة منها وألا لن يصيبه إلا فقدان ماء الوجه . من هنا يتوضح مقصدنا في مستهل كلامنا عن صفات كل استعمار .

لقد عمد الاستعمار الالماني الى استغلال وتشجيع البحوث العلمية والباحثين في شتى المجالات من أجل تطبيقها في مستعمراتهم بشكل لم يفعله استعمار قط قبله لا رغبة في تحسين المجتمع الافريقي ونقله نحو المدنية والتطور وانما سعياً وراء الاستفادة من البحوث والابتكارات لكسب المزيد من الارباح . من ضمن تلك الاهتمامات جاء موضوع استغلال الموارد الطبيعية للكاميرون على الوجه الأمثل . حيث أقامت الحكومة الالمانية العديد من المؤسسات البحثية المهتمة بالزراعة الاستوائية والثروة الحيوانية في المانيا وفي مستعمراتها ، وخصوصاً مستعمرة الكاميرون محور بحثنا هذا . ركزت تلك المعاهد على دراسة المناخ ، التربة ، والأساليب والوسائل الأنسب والأحدث في الزراعة وتربية الحيوانات ، إجراء مسوح ميدانية لإحصاء واكتشاف النباتات والمزروعات التي تنمو في الكاميرون والظروف التي تلاءم نمو كل منها ، إحصاء أعداد الحيوانات في الكاميرون ومحاولة التوصل الى أرقام دقيقة تخص الثروة الحيوانية ، إجراء تجارب ميدانية على النباتات والحيوانات في مزارع تجريبية أقيمت لهذه الأغراض وكذلك الأهتمام بالفاكهة والبستنة ، التوصل الى إنتاج مبيدات وأمصال لمكافحة الأوبئة التي تصيب المحاصيل الزراعية والأمراض الفتاكة التي تهلك أعداداً كبيرة من الثروة الحيوانية والقضاء على تلك الأمراض ، إقامة المزارع الإنتاجية الكبيرة ، إنتاج الأسمدة لتحسين مستويات الإنتاج الزراعي ورفعه كماً ونوعاً ، إقامة مدارس زراعية من قبل الحكومة الاستعمارية الألمانية في الكاميرون لتعليم أبناء السكان المحليين وجعلهم مرشدين زراعيين جوالين على المزارع المحلية في كافة أنحاء الكاميرون ، توفير الأسمدة والبذور والمبيدات للمزارعين المحليين أيضاً وشراء حاصلهم وتشجيعهم على تربية الحيوانات الإنتاجية ، استغلال الموارد الزراعية والثروة الحيوانية بشكل كامل تقريباً والحرص على عدم ترك أية مخلفات ، استخدام المنتجات الزراعية في الصناعات التحويلية التي درت عليهم أموالاً طائلة .

كذلك أهتم الاستعمار الألماني بالصناعات التعدينية مستغلة موارد الكاميرون المعدنية مثل الحديد، الرصاص، الفضة، الميكا، الكوارتز....الخ . وشهد لهذا الاستعمار بأنه كان الأسرع والأنشط والأنجح في خلق الفرص الربحية والإنتاجية في هذه المستعمرة وكذلك المستعمرات الأخرى في شرق وغرب وجنوب غرب أفريقيا .

## المبحث الأول

### أولاً: لمحة جغرافية وتاريخية في الكاميرون

يقع مصب نهر الكاميرون في خليج غينيا Gulf Of Guinea ، الواقعة جنوب نيجيريا مواجهة لجزيرة فرناندو-بو- Fernando-Po ، تم اكتشافها من قبل المستكشفين البرتغاليين في القرن الخامس عشر والسادس عشر أطلق عليها أسم ريو دوس كماروس Rio Dos Gamaroes ومعناها نهر القريدس أو الروبيان وجاءت هذه التسمية بسبب الاعداد الكبيرة من الروبيان التي غطت مياهها – استخدم البريطانيون اسم الكاميرون لتمييز الجبال المجاورة التي شهقت بارتفاعها الى الشمال الغربي من خليج غينيا ، إن الاستخدام البريطاني كأسم تم حصره ليصبح الكاميرونز ، مشيراً الى السلسلة الجبلية والى مصب النهر مثل نهر الكاميرون Cameroons River ، استخدم الالمان هذا الاسم أيضاً ليطلقوه على كامل المحمية لتكتب بالالمانية بالصيغة التالية – Kameron –[1] .

وفي السياق ذاته يحد الكاميرون من الشمال الغربي نيجيريا ، ومن الشمال الشرقي منطقة واقعة تحت السيطرة الفرنسية لاراضي عسكرية في تشاد Military Territory Of Chad تمتد الحدود باتجاه الشمال الشرقي من منطقة قريبة من كالابار Calabar في الاقاليم الجنوبية لنيجيريا الى بحيرة تشاد ، ومن ثم تمتد بشكل عام باتجاه الجنوب الغربي لتصل الى المحيط الاطلسي لتكون الى الجنوب من غينيا الاسبانية Spanish Guinea ، والتي تكون محاطة بذلك من الشمال ، والشرق والجنوب بأراضي واقعة تحت النفوذ الالماني[2] .

وفي ضوء ذلك ان المحمية التي بلغت مساحتها 290 ميلاً مربعاً ، قد بلغ تعداد سكانها في عام 1913م (2 ,650 ,000) من الافارقة و (1 ,871 ,000) نسمة من السكان الاوربيين منهم (1 ,643 ,000) من الالمان[3] .

### ثانياً: الحدود والمدن

ومن الجدير بالذكر ان أهم المدن الساحلية من جهة الشمال الى الجنوب هي[4] ، فكتوريا – Victoria – ، دوالا – Duala – (العاصمة)، كريبي– Kribi – وأوكوكو– Ukoko – تعتبر بويا – Buea – مدينة كبيرة واقعة على المنحدرات الشرقية لجبال الكاميرون ، وأيديا – Edea – على نهر سانكا – Sanga – ، حوالي أربعون ميلاً عن مصبه[5] في الاقليم الجبلي الواقع في الشمال الغربي تقع مدن باره – Bare –، دسجانك – Dschang – ، بالي – Bali – ، باميندا – Bamenda – ، ووم – Wum – ، إيسو – Esu –، وكينتو – Kentu – والى الشرق من تلك تقع فومبان – Fumban – والى الغرب ، بالتحديد في البلاد المنخفضة قرب الحدود النيجيرية ، تقع

أوسيدنج – Ossidinge –[6] . في القسم الغربي من الهضبة تقع تيباتي – Tibati – ، بانيو – Banyo – ، وتينجيرة – Tingere – وفي المركز وبالتحديد عند تقاطع الطرق الرئيسة للمنطقة الداخلية تقع نكاومبديرة – Ngaumdere – . اما في البلاد الواقعة شمال الهضبة تكون المدن الرئيسة فيها هي كاروا – Garua – التي تعتبر مركزاً تجارياً مهماً في بينوه ، ليره – Lere – ، بايندر – Binder – ، ماروا – Marua – ، مورا – Mora – ، ديكوا – Dikoa – ، وكوسيري – Kusseri – . في الجزء الجنوبي – من البلاد تقع يونده – Yaunde – ، دومه – Dume – ، بيرتوا – Bertua – ، كازا – Gaza –، كارنوت – Carnot –، بانيا – Bania –، لوميه – Lomie – وأكوافيم – Ahoafim – . في حين تقع مولوندو – Molondu – في أقصى الجنوب الشرقي[7] .

## ثالثاً: المعالم الجيولوجية والجغرافية في الكاميرون

على أية حال تعتبر البلاد باكملها جبلية وتشكل الحد الشمالي الغربي للهضبة الأفريقية الوسطى – Central African Plateau – . يتصف الشريط الساحلي بأنبساطه وتربته الغرينيه والذي ينفرد على جوانب جبال الكاميرون ، ثم يشهد توقفاً بواسطة مستنقعات ، بحيرات صغيرة شكلتها مصبات الانهر ومصبات أنهر عميقة[8]. اما اقليم ريو ديل ري – Rio Del Rey – فهو ارض غرينية ممتدة طولياً بعرض 30–40كم ، تشكل أقصى الجزء الشرقي من السهل ذو الطبقة الغرينية الكبير الممتد من ساحل الذهب الى الكاميرون ، ويكتسب تطوره وتناميه الأعظم عند دلتا النيجر – Niger Delta – ضمن تلك السهول الغرينية تبرز كتل أو أكوام بركانية من جبال الكاميرون لأرتفاع يصل الى (4,070م) ، وبذلك تكون قد قسمت البلاد الى قسمين ، مرتبطين فقط بشريط بري صغير ومرتفع . تقع الى الشرق من هذه الجبال التي عملت على تقسيم البلاد الى اقاليم دوالا لاند – Dualaland – . وتتضمن الاقاليم الجبلية الثلاث الاخرى التي تكون وتشكل بلاد الكاميرون هضبة الكاميرون ، التي تشكل الجزء الاوسع والاكثر اهمية في المستعمرة ، يصل مستوى ارتفاع الاقليم العظيم لأدامانا –Adamana– الى (600م)، واراضي المستنقعات الممتدة لحوض بحيرة تشاد التي تكون على مدى عدة أشهر مغمورة بالمياه من كل سنة[9] .

والملاحظ ان الجزء العظم من المستعمرة مغطى بمنحدرات رملية ، صلصالية ، حمراء التي هي من خصائص المناطق الاستوائية . فأن تألفت هذه الأرض الحمراء من تصلبات قاسية من تراب الحديد البني ، تسمى **ليترت** "Laterit" . أما تلك الارض المثقبة مثل فوهات البراكين فهي صفة سطح التربة بشكل عام ، وخصوصاً في تلك المقاطعات حيث الترسبات الصلصالية قد غسلتها الأمطار الثقيلة[10] . فالتربة التي ثبتت فيها النباتات أكثر وفرة في الأقاليم الممطرة في الجنوب ، وكذلك في

الاراضي المنخفضة وبالتأكيد ، فان نتيجة هكذا منحدر رطب تكوين صلصال نقي ، أبيض مصفر ، أو الطين الصيني والذي وجد في الهضبة الجنوبية . ويغطي الأراضي المنخفضة جنوب بحيرة تشاد طين مسود بسمك قدم الى قدمين ، يطلق عليه اسم "**فيركي Firki**" . في حين االى الجنوب من المستعمرة تربة طينية صفراء وحمراء هي الغالبة ، أما تلك التي تذهب الى الأقاليم الأكثر جفافاً ، فنجد الرمل المحمر[11] .

## رابعاً: المناخ

من جانب آخر أن المناخ في الاقليم الساحلي للكاميرون يكون دافئاً ورطباً ، تتساقط فيه الامطار بشكل مرتفع . درجة الحرارة ليست عالية على نحو متطرف ، فالحرارة تعدل من خلال رياح تسمى بنكويلا – Benguela – الباردة الآتية من الشمال من أقاليم بولار – Polar – ووفقاً لما قاله الخبير الالماني كوكس– Kuox– في كتابه مناخ افريقيا – The Climate of Africa – ما نصه "**يعتبر شباط أدفء شهر وتموز أبرد شهر ، أما درجات الحرارة الليا والدنيا فتكون (7, 89°) فهرنهايت و (66°) فهرنهايت وفقاً لتلك الأشهر . في حين يبلغ معدل درجات الحرارة في فكتوريا – Victoria – ودوالا حوالي (77°) فهرنهايت**[12] **. إن الساحل الغربي يعتبر أحد أكثر الأماكن الصحية في أفريقيا ، لكن الظروف التي لائمت الأوربيين كانت في المناطق المرتفعة الواقعة في الشمال . حيث يعتبر مناخ هذه المناطق من النوع القاري على نحو واسع ، إتصف بدرجات حرارة متطرفة . ففي بالي – Bali – ، يتراوح متوسط درجات الحرارة حوالي (64°) فهرنهايت ، ودرجة الحرارة العليا تصل ما بين (87°) فهرنهايت، (90°) فهرنهايت والدنيا ما بين (43°) ، (45°) فهرنهايت . في حصن فورت كرامبل – Fort Crampel – الواقع في الجانب الشرقي من الهضبة تصل درجة الحرارة العليا الى (113°) فهرنهايت ، والدنيا الى (49°) فهرنهايت . في هضبة نكاومدير – Ngaumdere – يكون المناخ في بعض الأحيان بارداً جداً ، بيد أن العواصف الممطرة الباردة غير شائعة، وتهبط درجات الحرارة في بعض الاحيان لتصل الى (37°) فهرنهايت**"[13] .

وفي السياق نفسه فيما يتعلق بالأمطار ، فهناك قاعدة تتمحور في وجود أكثر أو أقل من أربعة فصول مميزة في الأقاليم الوسطى والجنوبية – الموسم الرئيسي للجفاف في بداية السنة ، وما يسمى بالفصل الرطب الطويل الذي يمتد من حزيران حتى أيلول ، وموسم الجفاف القصير في تشرين الأول وتشرين الثاني ، والفترة القصيرة من هطول الأمطار الغزيرة في قسم من شهر تشرين الثاني وكانون الأول – لكن الاقسام المشار اليها قد تم تعيينها بشكل جيد[14] . تقع مقاطعة آدمانا – Admana – الى الشمال من الهضبة الى ما وراء خط الاستواء ، وهناك بالتالي فصلين فقط ، أحدهما رطب والاخر جاف[15] .

بالمقابل تمثل جبال الكاميرون الكبيرة مقاطعة تعتبر فريدة نسبة الى مناخها، بنباتاتها وحيواناتها. فعند اقدامها تتواجد غابة طبيعية ، مناخها إستوائي رطب . في ديبوندجا – Debundja – و بيبندو – Bibundo – ليس هناك بشكل خاص موسم جاف ، حيث الأمطار تكون متواصلة تقريباً على مدار السنة . في الجانب الشرقي ، يمتد الفصل الماطر شهرين الى ثلاثة فقط في السنة . وتمتاز مقاطعة ليبويا – Buea– الواقعة على المنحدرات الدنيا لإقليم شديد الضباب ، مناخ بارد منعش ، وهو شبه خالٍ من الملاريا . تتباين درجة الحرارة مراراً وتكراراً ، ففي بعض الأحيان تبلغ ما بين (5, 1°) مئوية الى (2°) مئوية في غضون دقيقتين الى ثلاث . فبدلاً من الأمطار الكثيفة المعتادة الاستوائية ، فهي تتميز بتساقط الرذاذ ، لذلك تجد الرطوبة في كل مكان ، أما في اعلى المنحدرات، وحينما تهب الرياح الشمالية الشرقية ، فالبرودة قارسة ما عدا وسط النهار ، وتعد غابة هوار – Hoar – فهي مُثلجة على مدار السنة . تكون الجبال على الدوام مرتدية قبعة من الغيوم ، ومن النادر مشاهدة قمتها بشكل واضح[16] .

## المبحث الثاني

## الجانب الزراعي في الكاميرون

### أولاً:النباتات والغابات

هذا مع العلم ان المزيج المكون من الحرارة الاستوائية والأمطار في الأقاليم التي تتواجد فيها الغابات ومستنقعاتها من الاحراش أنتج نمو نباتات استوائية مثل نخيل جوز الهند ، القطن ، أشجار ليفية ، وعروق مطاط . فالغابات العذراء أستوائية على ارتفاع (000, 1) متر ، وحينما تُصبح أقل كثافة ، تظهر نباتات البلوط والخنشار[17]. ما بين ارتفاع (500, 1–800, 1م) تنمو نبتة القهوية البرية بوفرة ، وتتلاشى نباتات الخنشار والبلوط ، وهي متبوعة بممرات غابات و(احراش) . عند ارتفاع (000, 2م) تنتهي الغابة فجأة وتبدأ الاراضي العشبية . في المضائق فقط ، التي تكون فيها التربة رطبة ومحمية من الرياح ، تستمر الغابة الى ارتفاع (700, 2م) . تتصف الغابة المرتفعة – وهي الاكثر تميزاً بكل تشكيلات الغابة الاستوائية – باشجارها ذات التنوع المدهش بشكل كامل ، بما فيها ، شجرة الصوف الكبيرة ، شجرة الماهوكاني ، الاشجار الصفراء والحمراء ، نخيل الزيت والمطاط . ومن بين الاشجار الاساسية النامية في (الأحراش) هي الأكاسيا ، نخيل الزيت على ارتفاع ما بين (700–900م) تغطي ساحلها ومنحدرات هضبة الكاميرون[18] .

وتبعاً لذلك إن الانشطة الزراعية الرئيسة بدت لتكون في مقاطعة جوهان – البريخت– هوهة – Johann- lbrechts- Hohe – ، وفي مقاطعة ديبومباري – Dibombari– الواقعة على سكة الحديد الشمالية . فنباتات الغابة في مانوكا – Manoka – ، قرب دوالا ، كانت متروكة لبعد مسافاتها ،

وصعوبة توفر المياه ، والنقص الحاصل في الايدي العاملة . اما العمل الرئيسي كان في مناطق ياباسي – Yabassi – من أجل صناعة غابة واحتياطيات ثابتة فقد كان متواصلاً طوال السنة ،في ياوندة –Yaunde– ، وإيديا –Edea – ، ودسجانك –Dschang –[19]. لقد كانت مساعي وجهود وزارة الغابات في الكاميرون وتلك الجهود من قبل اشخاص معينين مهتمة بشكلٍ أساسي بـ:

**أولاً:** البحوث المتعلقة بالأخشاب المناسبة لصناعة الأعمدة والدعامات وصناعة القوارب وبناء المركبات .

**ثانياً:** الأخشاب المقاومة للصخور الحجرية في الممرات المائية بالنسبة للقوارب الصغيرة .

**ثالثاً:** شحنات من الأخشاب التجريبية التي تستخدم في البناء ، التعدين ، وتعبيد الشوارع[20] في غرب وجنوب غرب ألمانيا الأفريقية .

لقد حصلت زيادة كبيرة في إنتاج الأخشاب وصلت الى (270%) عام 1911م . فالمرتبة الأولى في الصادرات ، احتلها خشب الماهوكاني المصدر من الكاميرون ، والملاحظ انه كان يحصل على زيادة تدريجية لقيمته في السوق ، حيث شهدت صادراته زيادة في قيمتها من (220, 7) جنيه استرليني في عام 1910م الى (000, 22) جنيه استرليني في عام 1912م . وتأتي في المرتبة الثانية من ناحية الأهمية بالنسبة لأخشاب الأبنوس الكاميرونية ، حيث كانت صادراته وكما يلي: في عام 1909م (672) طناً بقيمة (038, 3) جنيه استرليني ،في عام 1910م (221, 1) طناً بقيمة (090, 6) جنيه استرليني ، في عام 1911م ، (652, 1) طناً بقيمة (777, 6) جنيه استرليني ، في عام 1912م بلغت قيمة الشحنة (055, 9) جنيه استرليني[21] . ان الزيادة في الصادرات كانت تعود بشكلٍ واسع الى الزيادة في القطع او عمليات القطع التي يقوم بها السكان المحليون . لذلك كان استغلال الأخشاب في الأراضي الحكومية ممنوعاً بشكل كامل بالنسبة للسكان المحليين للفترة ما بين (1912–1913م) ، ومنحت الحكومة الألمانية امتيازات ورخصاً بهذا الشأن للأوربيين لكن بكثير من الحذر ، وبذلك كان التراجع في انتاج الأخشاب متوقعاً . فالصعوبة التي تعود الى استغلال الخشب في الكاميرون كانت تكمن في الافتقار الى المسالك المائية في أقاليم الغابات[22] .

## ثانياً: تربية قطعان المواشي والأغنام

ويبدو واضحاً على الرغم من الصعوبات الجمة التي تتسبب بها ذبابة التيسي – تسي – Tsetse Fly – فقد كان هنالك اهتماماً كبيراً منصباً على تربية قطعان الماشية في الكاميرون على الرغم من الجهود التي بذلت في مقاطعات كوسيري – Kusseri– الواقعة في اقصى الشمال ، وفي كاروا – Garua –، في إقليم آدامانا ، لم يظهر أي شيء على طبيعة الاساليب التي يتم بها تربية وزيادة تناسل الخيول[23] . فالقطعان المحلية هي على نوعين هما القطعان القصيرة والصغيرة الحجم

والقطعان ذات الحدبة (السنام) . ولم تتواجد عملية تربية القطعان بشكلها الملائم الا في قبيلة فولا – Fulla – في إقليم دامانا ، وفي إقليم بانيو ، وفي أقاليم بحيرة تشاد . فمن تلك المناطق كان قد حصل في فترة من الوقت عملية تصدير فاعلة من قبل المستعمرة الألمانية الى المحميات البريطانية والفرنسية المجاورة . لكنها تلاشت في السنوات الأخيرة بسبب الضرائب المفروضة من قبل الحكومة الألمانية بشكل كبير على عملية التصدير . بيد ان الاهتمام بإنتاج القطعان من جانب السكان المحليين قد زاد في السنوات قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، وخصوصاً بعد التشجيع الرسمي الحكومي الذي تلقوه ، في مقاطعتي دسجانك وباميندا – Bamenda –[24] .

وعلى الغرار نفسه شهدت قطعان مقاطعة فولا قيمة متزايدة في المقاطعات الوسطى ، التي لم يكن فيها وبسبب الاضرار التي تتسبب بها ذبابة التيسي تسي، هناك أية تربية للقطعان ، لكن وحينما عملت مواصلات السكك الحديدية على عزل الاقاليم المصابة بالعدوى ، كانت صناعة تصدير المواشي نحو الساحل متطورة . ان الازدهار المتعاظم الذي شهدته المقاطعات التي يكثر فيها المطاط في الجنوب وخصوصاً في مقاطعات مولوندو – Molondo– ، دومة – Dume– ولوميه – Lumie– قد قاد الى زيادة في السنوات الاخيرة من الحروب وعلى طلب اللحوم بين السكان المحليين ، الذي كان يتم تجهيزها من قطعان في مقاطعة الهوسة والفولاني – Fulani – في الشمال . في عام 1911م تم ارسال (000, 20) رأس من القطان الكبيرة و (000, 8) رأس من القطعان الصغيرة ، الى مقاطعة آدامانيا الى الجنوب ، وعنى هذا حصول تبادل تجاري بين الشمال والجنوب لقيمة بلغت حوالي (150,000) جنيه استرليني[25] .

يمكن القول وكما هو معتاد في غرب افريقيا خصوصاً والمقاطعات الجنوبية الغربية عموماً فإن السكان المحليين يمتلكون أعداداً كبيرة من الأغنام ، والماعز ، والدجاج ، والخنازير ، بطبيعة الحال حصل هذا التطور في الجانب الزراعي والثروة الحيوانية نتيجة الأبحاث والتجارب التي قامت بها المدارس والمعاهد والخبراء الألمان في الثروة الحيوانية في المستعمرات الألمانية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى قي غرب وجنوب غرب افريقيا[26] .

## ثالثاً: الإنتاج الزراعي المحلي

وفي ضوء ذلك تعتبر المنتجات الزراعية الأساسية في الكاميرون عن تنامي في معدلات المنتوجات والمحاصيل الزراعية التي اشتملت على المطاط ، نوى النخيل ، الكاكاو وزيت النخيل ، حيث قسمت المحمية بشكلٍ عام متمثلة في ثلاثة مناطق رئيسية: الجنوبية التي تتمتع بأنتاج متنامي في المطاط ؟ المنطقة الوسطى التي تقع حول حوض نهر الكاميرون ، بما تحتويه من غنى ووفرة في المشهد النباتي الخضري لها المتمثل بنخيل الزيت ، والبلاد العشبية ، الواقعة شمالاً ، الملائمة بشكل

خاص لتناسل وتكثير المواشي[27] . من جانب أخر قد تم جلب كل المطاط من قبل السكان المحليين حيث يتم استخراجه من النباتات المطاطية البرية لنرى ان معظم المجتمع الذكوري في مقاطعات لوميه، مولوندو – Molondu- ، دومه ودينكدينك – Dengdeng- كان متخصصاً وعاملاً في جمع المطاط في الأعوام ما بين (1910-1911م) وهي الأعوام التي حصل فيها ان قام أكثر من (000, 1) رجل ملون بشراء المطاط من السكان المحليين وباعوه الى (49) شركة تجارية ممن لديها (230) محطة مُقامة لشراء المنتج[28] ، مع العلم إن الحصة الصغيرة بالمقارنة من نباتات المطاط من الإنتاج الكامل له في المحمية قد تم بيانه من خلال الحقيقة التي تفيد بأن اجمالي الصادرات قد بلغ (516, 957, 5) طن في عام 1911م ، ما عدا (912, 23) طن كانت مجلوبة من المطاط البري ، في حين عام 1912م كانت النباتات المزروعة قد أنتجت (040, 53) طن من إجمالي الشحنة (222, 184, 6) طن[29] . ان نتائج محاولات استمالة السكان المحليين في زراعة نباتات مطاط جديدة اعتماداً على وجود أو غياب المطاط البري في مقاطعاتهم الذي كان بإمكانهم إستغلاله[30] .

ومن المهم ان نشير هنا وعلى سبيل المثال ، كان سكان مقاطعة لوميه ، ممن لا يزالون يعلمون بالمقومات الغنية لنباتات المطاط البري ، لا يمكن تحفيزهم على زراعة المطاط ، التي تم ممارستها في كريبي – Kribi- ، حيث لا تكون تلك النباتات متواجدة ، ويتم توزيع النباتات اليافعة ، وتلقيها وزراعتها على نحو مُريح[31].

ومن الملاحظ كذلك قد سُجل بأن زراعة نخيل الزيت قدم بعض النجاح للسكان المحليين ، في مقاطعات لوميه وياونده ، لكن على اية حال كانت عملية "**زراعة**" قد تمت من قبل السكان المحليين هي بسيطة في طبيعتها ، حيث تألفت فقط من أجل الحفاظ على المنطقة من خلال تنظيفها من "**الأحراش**" . ان الانخفاض الواسع في صادرات العاج في الأعوام الأخيرة كان بسبب المعيار الكبير لاستهلاك مخزونات العاج التي جمعت من قبل السكان المحليين والقتل المسرف والمجحف للفيلة في السنوات قبل نشوب الحرب العالمية الأولى[32].

مع العلم ان الصادرات في عام (1910م) قد بلغت (16) طناً بقيمة (124) جنيه استرليني ، وعلى الرغم من وجود زيادة طفيفة بالكمية في العام التالي ، فقد أظهرت صادرات عام 1912م تداعياً واسعاً[33] . اما المنتجات المحلية الاخرى فهي بالمرتبة الرئيسة جوز دجاير – Djair Nuts- ، وجوز شيا – Shea Nuts- ، والكولا والعلك العربي ، لكن في نفس الوقت كان هناك نشاطاً قليلاً بالمقارنة فيما يتعلق بزراعة محاصيل الحبوب الأساسية ، لأن طبيعة البلاد الغنية مكنت السكان المحليين من شراء ما يحتاجونه[34] .

ومن الجدير بالذكر ان تنمية أو بروز المحاصيل الغذائية من الحبوب ، حصلت بكل الأحوال ، وفقاً لطلبات خاصة ، مثل زراعتها قرب السكك الحديدية ، والمحطات الإدارية ، والمدن الكبرى ، والمكانات الرئيسية الواقعة على طريق القوافل والأنهر . وبصورة عامة قد زرع السكان المحليين الذرة الحلوة (الشامية) ، الموز ، البطاطة الحلوة ، الجوز البري ، أشجار الكاسافا (وهو نوع من النشاء) ، والموز الافريقي او الهندي ، وكذلك الذرة الغنية في المقاطعات الشمالية ، وبعض الكولا والسمسم في المناطق المنعزلة . في العديد من المقاطعات ، بالإضافة الى زراعة كمية محددة من التبغ[35] . وهناك ايضاً بعض الفواكه التي تم زراعتها بشكل قليل ، خصوصاً في قرية آمبام – Ambam – في الأراضي المرتفعة لإقليم دسجانك وفي أماكن أخرى، مثل إبيلوه – Ebelowe – وياونده ، زرعت محاصيل جديدة مثل البطاطة الانكليزية ، فاصوليا "**الاحراش السوداء- Black Bush**" واللفت ، حيث المناخ ملائم لزراعتها . كذلك قام عدد كبير من لسكان المحليين القاطنين في مقاطعات دوالا وأيديا – Edea- ، في السنوات الأخيرة بإنشاء مزارع لزراعة الكاسافا ، والموز الافريقي او الهندي ، والذرة الحلوة (الشامية) ، ونباتات درينة ، ومنتجات زراعية أخرى[36] .

وفي كل الأحوال تم زراعة محاصيل معينة مثل الذرة الغنية ، الدخن ، الجوز البري البطاطة الحلوة ، كذلك زُرع القطن والتبغ من قبل عابدي الاوثان في الكاميرون من قبل قبائل جامبا – Chamba- ، والزمبيريين – Zumperis- والمونجيين – Munchis- . زُرعت الذرة في شهر نيسان عند نهاية الموسم المطير ، وفق الطريقة التالية: تنظيف الأرض أولاً من أعشاب التبغ وما تبقى منها من محصول السنة الماضية . ثم تُعد للبذار من خلال الشروع بحفر شقوق سطحية بواسطة المعول ، فتكون الأرض او بالأحرى يكون التراب مكوماً على شكل أكوام طولية ما بين تلك الشقوق[37] . حيث يتم زراعة الذرة الغنية التي تعتبر الغذاء الرئيس في البلاد ، في تلك الاكوام الترابية . هي تنمو لارتفاعات عالية وعلى الأغلب يتراوح أرتفاعها ما بين (15–20) قدماً وتحصد في شهر تشرين الثاني . ويزرع الدخن في الأخاديد أو الشقوق التي تم حفرها حيث انه ينمو بشكل متسارع ويتم حصاده في تموز . يصبح القطن جاهزاً للقطاف بعد شهر كانون الثاني ، ويزرع التبغ والكاسافا خلال موسم الجفاف على جوانب التلال[38] .

ومن المهم ان نشير هنا ان تستخدم الجداول للري اعتباراً من شهر تشرين الاول ولغاية آذار ، وخلال موسم الجفاف ، يكون السكان المحليين منهمكين في تخزين الذرة في مخازن مصنوعة من جدران طينية ، ودراسة (سحق) ما يحتاجونه للاحتياجات الضرورية . يتم كذلك من خلال قضاء تلك الأشهر في إصلاح الأضرار في القرى ، حيث يقطع العشب ويربط على شكل حزم كبيرة لتغطية

السقوف بها وصناعة حصران جديدة . يعتبر فصل الجفاف أيضاً هو فصل الصيد، عندما يكون العشب الطويل قصيراً بسبب الحرائق.

ومن الضروري ان نشير ان عملية حرق العشب هذه تعتبر حالة سنوية ، على الرغم من منح الحكومة لها لأن الحرائق قد تصل الى الأشجار كان أمراً بديهياً ان القبائل البدائية التي تقطن التلال تعتني قليلاً بالأشجار والعشب وتهتم كثيراً بأكل باللحم[39].

كان أمراً طبيعياً كما في كل الأجزاء من البلاد حيث ذبابة التيسي تسي سائدة بكثرة، لذلك يتعذر استخدام المواشي والحيوانات في حراثة الأراضي ، فيعمد السكان المحليون الى حراثتها بواسطة المعاول . ولكون المعول في غرب أفريقيا هي أداة تدعو الى الصبر عنه الى المهارة والقوة ، فقد ترك السكان المحليين حراثة الأرض الى النساء . وبذلك لن تكون النساء هناك متحررات من هذه العبودية (السخرة) حتى تصبح الماشية والحيوانات محصنة من مرض ذبابة التيسي تسي التي تصيبها لكي يتم إستبدال المعاول بالمحراث[40] .

## رابعاً: زراعة المزارع

ثمة حقيقة تاريخية كانت الكاميرون تعتبر من قبل الألمان بلداً زراعياً واعداً ، في حين كان قرب جبل الكاميرون – Cameroon Mountain– من الساحل الغربي يسهل عملية تصدير حويل المنتجات ، لكون هذا الجزء من المستعمرة يعتبر منطقة نموذجية للمزارع . فكل المزارع الكبيرة تقع في هذه المقاطعة التي تطورت بشكل كبير ، وكانت منتجاتها تعتبر مهمة في إحصائيات التصدير[41] . ان عملية إقامة مزرعة في الكاميرون هي من دون شك عملاً يسيراً وسهلاً ، لكون التربة الخصبة هي امتداد للغابة الطبيعية . ولكون غابة الكاميرون الطبيعية لا تمتلك إتساعاً متساوياً وغير قابلة للاختراق، يكون من البديهي القيام بأعمال مُضنية ومُكلفة تعتبر ضرورية لأية محاولة حقيقية من أجل زراعتها . وهي تشابه الى حد كبير بالكامل تلك التي في شرق أفريقيا مع فارق واحد حيث بالنسبة للأخيرة كانت القاعدة هي إزالة الأحراش ، في حين في الكاميرون يجب التعامل مع غابات طبيعية ذات ارتفاعات كبيرة بالنسبة لنباتاتها[42] .

وعلى هذا الأساس ازدهرت زراعة الكاكاو على منحدرات جبل الكاميرون ، حيث المناخ والتربة مماثلين لتلك في جزر سانت توماس – St. Thomas– وفرناندو– بو– Fernando PO – ، وزراعته محصورة على الدوام بجبل الكاميرون وبعض المزارع في مقاطعات سانكا – Sanga – وكامبو – Kampo– وكان مؤملاً مع اتساع عملية التغلغل في غرب افريقيا ، ستتواجد الكثير من المقاطعات الملائمة للزراعة[43] . في هذه الحالة كانت السنوات الكثيرة من التجربة التي أُجريت على

جبل الكاميرون محفزة لعملية النمو الزراعي . فأشجار الكاكاو التي بلغ معدل إرتفاعها من (6-8م) وبجذوع بلغ قطرها حوالي (15-25سم) بدأت بإنتاج المحاصيل بعد أربعة أو خمسة سنوات .

وفي هذا الصدد عند الحصاد يجب جني الثمار بحرص شديد لتفادي الضرر بالأشجار . اما عملية فتح الثمرة من أجل الحصول على البذور يتم بواسطة عصا ، أو بضربها بحجر . حينما تؤخذ البذور من الثمار ، مع العلم تجرى عليها عملية تخمير مهمة ، حيث تستغرق وقتاً طويلاً للحصول على افضل الطرق بجودة النوعية.

لكن من الجدير بالذكر الإشارة الى ان عملية التخمير تؤثر في طعم ورائحة الكاكاو كثيراً ، فهي تعمل على إزالة مرارته ، ونعدل من طعمه الحار ، وتحسن من رائحته ولونه البني المُحمر بحكم هذه العوامل[44] ، لتبقى واحدة وهي تجفيف حبوبها والتي يتم اما باستخدام حرارة الشمس والهواء على الارض ، او باستخدام حرارة صناعية باستخدام أجهزة التجفيف بعد بضعة ايام من تجفيف الكاكاو بشكلٍ جيد جداً ، تكون جاهزة للتصدير . حيث ترزم في أجربة أو أكياس مصنوعة من الحصير ، ترسل بشكل أساسي الى ألمانيا لتصنيعه في المصانع . وتتم بطريقة سحق النوى والشحم (دهن الكريز) وحينما يستخلص يستخدم على هيئة زبدة الكاكاو للأغراض الطبية ولصناعة الصابون .

ومن المهم ان نشير هنا ان تصدير الكاكاو الذي أرتقى الى (450, 2) طناً في عام 1908م ، وصل الى إجمالي قدره (550, 4) طناً ، قدرت بـ(500, 212) طن في عام 1912م[45] .

**خامساً: زراعة المطاط**

ويبدو واضحاً ان انتباه المتاجرين بالمطاط كان محصوراً بنوعية لانس Lianas ، خصوصاً اللاندولفيا فلوريدا – Landolphia Florida- ، الذي كان معتبراً النبات الاكثر حصاداً من المطاط في المستعمرات الألمانية . لكن في بداية القرن العشرين كانت الغابات العذراء الكبرى مكتشفة في جنوب الكاميرون والتي تألفت من أعداد كبيرة من أشجار كيكسيا الاستاكيا – Kickxia- Elastica ، في حين غطى هذا النبات امكتدادات فرعية في منطقة السافانا جنوب مقاطعة ادامانا ، ففي الأراضي المرتفعة في إقليم الكومبو – Kumbo – ، وإقليم بحيرة تشاد[46] . عرفت لاستكا كيكسيا – Kickxia- Elastica – ، في مصطلح التجارة بـ "**مطاط الحرير – Silk Rubber –**" وأول ما أكتشفت عند الساحل الغربي الأفريقي في لاغوس في عام 1894م ، وبحلول شهر تشرين الأول من عام 1895م وصلت الصادرات الى أكثر من مليون جنيه استرليني . زاد من اهتمام وتلهف المواطنين المحليين الى استغلال هذا المنتج القيم الى عملية تدمير كامل للأشجار التي تدر المطاط ، وكانت النتيجة أن تتوقف الصادرات منه بشكل نهائي في عام 1906م[47] . إستقدم الدكتور رشليكتر – Dr. Schlecter – شجرة المطاط نوع – Kickxia- من لاغوس الى الكاميرون ، حيث أثبت أن

(1) طن من المطاط الجاف قد يكون بالإمكان الحصول عليه من شجرة عمرها ستة سنوات ، وهي نتيجة كانت أكثر من مؤكده من قبل الدكتور وزميله الدكتور واربرك –Dr.O.Warburg – . كانت اول شُحنة مُستحصل عليها من اشجار الـ (Kickxia) كانت من المطاط الطبيعي أو أشجار المطاط البرية المعروفة بأسم فانتاميا لاستكا (Funtumia- Elastica) ، وكانت فقط مُعرفة من قبل الألمان خلال سنوات الحرب العالمية الأولى ، في انها أي مطاط (Kickxia) هو منتج محلي في المستعمرة ، حيث تم زراعته وهناك مزارع كبيرة من الـ(Kickxia) في الكاميرون مؤلفة من ملايين الأشجار[48].

من خلال عملية تخديش ونقر اشجار الفونتوميا – Funtumia – البرية ، كان معروفاً بأن هذا الصنف يجني عن طريقة عصارة فتنسكب بسرعة أكبر من الأصناف الأخرى ، وهو على الأغلب حساس لعملية النقر والتخديش الشديد مثل صنف كاستيلوا (Castilloa) . ان عملية نقر وتخديش للأشجار الخاضعة لعملية الجني قد ظهرت بشكل تجريبي في الكاميرون . تلك الاشجار ، لا تزرع بشكل متقارب ، لكن تزرع منفردة او على شكل صفوف ، ويحكم على النتيجة وفقاً لذلك . حيث بالامكان افتراض (3 – $3\frac{3}{4}$) أونصه يكون متوقعاً استخراجه من الاشجار التي تبلغ من العمر 6 سنوات والمزروعة وفق مسافات جيدة التباعد فيما بينها (1–2) أونصه من الأشجار المزروعة على نحو متقارب إن أسلوب النقر قد تم ممارسته في التجارب الأخيرة على الأشجار نوع فانتاميا – Funtumia – من دون الأساليب الأخرى[49] .بالنسبة لعملية الحصول على المطاط تُغلى العصارة المستخرجة بالماء ، ويُعالج بحامض الهايدروفلوريك للحصول على أفضل مُنتج[50] .

## سادساً: كلفة الإنتاج

ومن الجدير بالذكر ان معظم مزارع المطاط ألـ–Kickxia – تقع في أراضي خالية من الأحراش وهي لا تكلف كثيراً . فالنفقات التي تتضمن كل تكاليف البحث ، والأدوات ، والعمل ...الخ، تصل الى (10) جنيه استرليني لكل دونم . فيما يتعلق بالعمال المحليين فهم متوفرين ، في حين بلغ معدل الأجور بما فيها أجور الطعام ، قد بلغت حوالي (10) جنيه استرليني في السنة[51] . إن كلفة الأرض المحتفظ بها المزروعة يجب ان لا تتعدى الـ(30) سنت لكل دونم بالنسبة للسنة الأولى ، و(6, 22) جنيه استرليني لكل دونم بالنسبة للسنة الثانية ، اما للسنتين الثالثة والرابعة فتبلغ (10) سنت لكل منها . في حين يجب ان لا تتعدى كلفة نقر وتخديش الأشجار ونقل الناتج الى ألمانيا . ان قيمة مطاط – Kickxia – ان تم إعداده بشكل ملائم ، تساوي على الغالب أفضل مطاط من نوع بارا – Para– الذي يُقدر ثمنه على الدوام بـ(15) سنت . تلك الأرقام تقارن على وجه التفضيل مع تلك التي

تم الحصول عليها من مزارع أخرى ، وهي معطاة هنا كإشارة انه وفي صادرات المطاط لوحدها تتمتع الكاميرون بالصدارة من بين مستعمرات غرب أفريقيا[52] .

ومهما يكن من أمر فلو أخذنا بنظر الاعتبار السؤال الذي يطرح نفسه فيما إذا ستكون ألمانيا في وضع تتمكن من خلاله تجهيز نفسها بكل احتياجاتها من المطاط من خلال مستعمراتها ، كتب الدكتور بول بريوس – Dr. Paul Preuss– وقال ما نصه في صحيفة المطاط الهندي – India Rubber Journal– انه يعتمد على ثلاثة عوامل[53] :

1– التربة . 2– المناخ. 3– العمال .

معتبراً التربة ، حسب قوله، " **التي تتمتع بها مستعمرات الكاميرون وغينيا الجديدة لوحدها والتي تبلغ عدة مئات الآلاف من الدونمات من الأراضي الملائمة لزراعة ونمو أفضل أنواع أشجار المطاط فيها . ان المناخ هناك أيضاً مُفضل جداً . ومع الأخذ بنظر الاعتبار الاحتياجات السنوية لألمانيا من المطاط والبالغة (000, 16) طن ، فهذه الكمية يمكن ان تكون منتجة من ارض تبلغ مساحتها ما بين (000, 150– 000, 170) دونم المزروعة بشكل خاص هيفا (Hevea) ومن (000, 200– 000, 230) دونم جاهزة للزراعة بمختلف الأصناف المزروعة مسبقاً ، لكن تغلب صنف هيفا ( Hevea) عليها . وحتى ان زاد الطلب على المادة الأولية فسوف يكون الجواب على هذا السؤال هذا بمثابة إيجاب وتأكيد اعتماداً على المناخ والتربة ، فيما اذا كان هناك تطور مصاحب في زراعة الكاكاو، والقطن ، وجوز الهند ، ونخيل الزيت .... الخ ، فان العمال اللازمين لهكذا توسع في زراعة المطاط ، سيكون متوفرين ، لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال**" . وأضاف دكتور لول – Lol– قائلاً "**فقد قيل انه وفي السنوات القابله ، وحينما تكون مزارع المطاط جاهزة لجني المطاط منها ، وتكون مزارع التبغ بحاجة لآلاف العمال من السكان المحليين ، فان النقص في العمالة سيشكل مشكلة حقيقية، لذلك فان استقدام لعمال الصينيين كان مقترحاً مطروحاً أمام الحكومة الألمانية باعتباره حلاً ممكناً واللجوء اليه**"[54] .

**سابعاً: الرز ، القهوة ، الكاكاو ، والتبغ**

خلال السنوات الأخيرة من عامي 1913– 1914م لقيت زراعة الرز اهتماماً كبيراً، خصوصاً في الحدائق التجريبية . ايضاً بدأ سكان اراضي الغابات بزراعة حقول الرز على التلال على شكل واسع ، وما هي الا مسألة وقت بالنسبة للكاميرون حتى تُصبح بلداً منتجاً للرز. لكن فيما اذا كان الأفارقة قادرين على تحمل المسؤولية المضنية للزراعة والمتاحة للرز المائي ، الذي يتطلب زراعة وإرواء دقيق، هو أمرٌ مشكوك فيه[55] .

فالفرد الأفريقي يمكنه الاعتماد على جلب الذرة الحلوة (الشامية) والدخن من أراضي الغابات بكل ثقة ومن الأراضي البرية الأكثر جفافاً ، حالما تتوفر وسائل النقل ، وكما لوحظ فان السود يثقون بهذه الزراعة . كما هو الحال في زراعة الذرة الحلوة (الشامية) ، أيضاً والموز ، التي تنمو بكميات كبيرة ستكون ممثلة للزراعة المحلية من الكاميرون[56] .

لا بد لنا إذا أردنا ان نفهم فيما يتعلق بزراعة القهوة ، كانت الآمال معقودة عليها في السنوات الأولى من احتلال المستعمرة . حيث تماثل جبال الكاميرون في كل نواحيها جزيرة سان تومه – San Thome – ، وفرناندو – بو ، التي ازدهرت فيها زراعة القهوة في عام 1884م ولغاية عام 1914م . لم يكن الامر سارياً كما كان متوقعاً ، وتلك الآمال لم تتحقق بحيث لا تجد اية مزارع للقهوة. مع العلم قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى زرعت نبتة الشاي من قبل الدكتور ديزتيل –Deistel– في منطقة بويا –Buea – وتنامى منتوجه بشكل مرضٍ[57] .

حصلت زراعة الكاكاو على الحصة الاكبر في اجمالي الصادرات ،وزادت مساحات زراعته في السنوات الاخيرة ، وكما يلي: 1909م (328, 13) دونم ، 1910م (290, 15) دونم ، 1911م (560, 17) دونم ، 1912م (438, 20) دونم . فالزيادة الكبيرة في صادرات عام 1912م كانت معزوةً الى الحالة الجوية الجيدة التي سادت تلك السنة . نتيجة لذلك ازداد الطلب على السماد الكيمياوي في الزراعة ، ولكون الامراض الرئيسية التي كانت تصيب الكاكاو مثل العفن البني– Brown Rot ، كوكجافير كربسي "Cockchafer Grubs" ، وبارك بكز "Bark Bugs" هي ليست تحت السيطرة مع ذلك فقد اعتقد بمستقبل جيد للكاكاو[58] .

كذلك كانت هناك الكثير من التوقعات حول زراعة التبغ ، خصوصاً في منطقة بيبودي – Bibundi– حيث التبغ كان مزروعاً فيها من البداية ، مُدراً جودة ممتازة ، على الرغم من صعوبة في زراعته بسبب المناخ الضبابي.

وتجدر الإشارة في عام 1902م كان هناك عجز بمقدار (000, 200) مارك ، ولبعض الوقت كانت زراعته منقطعة . حصلت محاولات في عام 1911م لتشجيع زراعة التبغ في المستعمرات الألمانية وفق ضمانات بأسعار مطلقة لمساحات تبلغ على الأقل (100) دونم قد تم تنميتها وتهيئتها في تلك المستعمرات . زادت المساحات المزروعة في المزارع في الكاميرون من (50) دونم في عام 1911م الى (383) دونم عام 1912م ، وقد جنت الكاميرون الألمانية محصولاً يقدر بـ(230) طن في عام 1913م . ونظراً للطبيعة المكلفة للزراعة ، كان مؤملاً من إحراز أوراق التبغ للكاميرون سوقاً جيدة للذين يعملون على لفها وتصنيعها[59] .

ومن الضروري ان نشير ان زراعة جوز الكولا – Kola- Nut – قد تم تبنيه بهمة عالية جداً ، وفي عام 1914م ، تم زراعة (400) شجرة في منطقة كارنا – Garna –، لكن النتيجة كانت غير معروفة . بيد أن المزارع التجريبية في حدائق فكتوريا لم تُفضي الى نتائج معروفة . حيث أزهرت الأشجار وكونت ثماراً الا انها هلكت بالكامل بفعل الديدان . في حين زرع السكان المحليين من جهة أخرى ، هذه الشجرة وعلى نطاق واسع في ارض الغابات خصوصاً في الأراضي المرتفعة من منطقة كيمبو – Kimbo – . من بين النباتات المختلفة ، خصوصاً في الحدائق التجريبية ، زرعت الفانيلا ، الفلفل ، جوز الطيب ، الدارسين ، وأنواع أخرى من البهارات . هلكت شجرة الفانيلا نوعاً ما بسبب الآفات الحشرية التي ضربتها في فكتوريا . في حين كان الفلفل والدارسين مزدهراً وذو إنتاج ممتاز[60] .

**ثامناً: الزيت والقطن**

ولا بد لنا إذا أردنا ان نفهم فيما يتعلق بالبيانات المنتجة للزيت ، تعتبر أشجار جوز الهند التي تتواجد على امتداد الأراضي العشبية في الكاميرون ، مهمة جداً ، ولا يمكن مقارنتها بنخيل الزيت ، المنتشر في المقاطعات الساحلية . ان المساحة المزروعة بنخيل الزيت بلغت (118, 4) دونم في عام 1914م[61] .

ومن اجل إلقاء ضوءاً أكثر إن زراعة النباتات الليفية التي بدأت بداية مُرضية، بدأت في التوكولاند وشرق إفريقيا ، هي في الكاميرون كانت في خطواتها البدائية . ففي الحديقة التجريبية تم زراعة أصناف مثل السانسيفيريا ، البيتا ، والروميلا – Romelia- Pita ، Sanseveria – المجلوبة من وسط أمريكا ، كذلك الكتان في منطقة مانيلا – Manilla Hemp – ، وزراعة اصناف الكتان ومنها أنسجة موسى – Musa Textiles –، وجوت أوتاري – Uttari Jute[62].

وفي السياق ذاته كان لمحصول القطن مستقبل أعظم من النباتات الليفية . حيث زُرع في الوقت الحاضر وعلى امتداد واسع جنوب بحيرة تشاد من قبل السكان المحليين ، وسميت زراعة القطن بالنظامية ، ليجنى المحصول فقط من النباتات البالغة من العمر سنة الى سنتين . في ذلك الإقليم تعتبر ملائمة جداً التنمية زراعة القطن التي يمكن الاعتماد عليها ، حالما تصبح وضعية المواصلات ملائمة. في وادي بينوه ، زُرع القطن أيضاً لعدة عقود هناك[63] . بيد ان كامل الاراضي الساحلية وتلك التي تمتد عليها الغابة هي غير صالحة لزراعته ، لذلك يكون من المُدهش نوعاً ما حينما نسمع عن وجود نباتات قطن جميلة جداً نامية في اراضي غير مزروعة في جبال ماندارا – Mandara Mountains– . وبموجب طرق تحفيز قامت به الهيئة الزراعية الاستعمارية – Colonial Agricultural Committee– حضت زراعة القطن في التوكو، وشرق أفريقيا وكذلك الكاميرون ،

حظى بفرص واسعة . وفي الواقع زاد تصدير الاخشاب في الاعوام الاخيرة. في حين وصلت قيمة الخشب المستورد عام 1909م الى (500, 8) جنيه استرليني ، هذا المبلغ ارتفع في عام 1914م ليصل الى (000, 35) جنيه استرليني ، ومع امتداد السكك الحديدية ، كان العائد من هذا المصدر على نحو متزايد[64] .

## تاسعاً: العمل في الزراعة التجريبية

كتب الدكتور والتر بس – Dr. Walter Busse– تقريراً من الوزارة الاستعمارية الالمانية الامبراطورية – Imperial German Colonial Office – في "النشرة الصحية للمعهد الامبراطوري–Bulletin of the Imperial Institute– حول تنظيم العمل التجريبي في الزراعة في المستعمرات الألمانية – The Organization of the Experimental Work in Agriculture in the German Colonies – مُخبراً الوزارة "**انه وفي الكاميرون ، كما في الأراضي الأخرى التي تكون فيها الأراضي مفتوحة للزراعة ، تعتبر ظروف الاستيطان للسكان المحليين ، الكثافة السكانية ، والمعايير العامة للزراعة ، وقابلية السكان المحليين على استيعاب أي نوع معين من النشاط ، كلها عوامل فاعلة ولاعبة مهة[65]. ونسبياً مع ميل السكان الى الزراعة ، يجب ان يبذل اهتمام لميول ومتطلبات الاعراق المختلفة ، وبالتالي لمدى ، نظام وأساليب الزراعة المحلية ... الحكومة الاستعمارية الألمانية" . قد وضعها كمبدأ يجب ان يكون مسموحاً للزراعة المحلية في المستعمرات الاستوائية ، لتنحية الجانب الحر جنباً الى جنب في المزارع التي يشرف عليها الأوربيين ، حيث لا يتعارض ذلك مع المصالح العليا للدولة . ستُقرر العوامل والظروف المحلية مدى تفضيل كل إقليم لطريقة او نظام معين في الزراعة . لكن حيثما كان كل من المناخ ، والظرف الاستيطاني للسكان لا يتعارض مع ثقافة الزراعة ، ويكون بمقدور السكان المحليين العمل والإنتاج ، ستعمل الحكومة على تشجيع الزراعة المحلية قدر الإمكان ، وبهذه الوسيلة يتم إيجاد وضع اقتصادي مُتحسن ومطور**"[66]

ولسوء الحظ بالنسبة للسكان المحليين ، حسب بما اشار هانز فيشر – Hanns Vischer– في مقالته "**تعليم السكان المحليين في أفريقيا الألمانية – Native Education in German Africa**" في أن مشاعره الوطنية ، وصناعته التي تعود اليه واندفاعه في العمل ، كان متجاهلاً بالكامل من قبل الحكومة ، وان "**المصالح العليا**" كانت متداخلة على الدوام من أجل تعويق المشاريع المحلية ، في حين أثبت أساتذة التيوتونك (Teutonic) اهتمامهم بالزراعة المحلية الجيدة من خلال نقل "**نظام الإصلاح الطويل الأمد للزراعة الألمانية ، الذي يستند على أساس إحصائي قوي ودقيق ، مبني على بحوث وأساليب محددة**" . بدأت ألمانيا عملها التجريبي حالما دخلت المستعمرات الأفريقية ، بإقامتها للحدائق ، لزراعة نباتات اقتصادية مهمة، مثل القهوة ، والكاكاو ، والمطاط ، ... الخ ، لصالح الثقافة الزراعية ،

والتقدم في عملية إنتاج الفواكه والبستنة[67] . وحينما شرع المزارعين الأوربيين بتبني الزراعة على عاتقهم ، وجد ان العمل التجريبي للحدائق النباتية لم يعد مطابقاً للاحتياجات . لهذا الغرض ، أصبح العمل التجريبي المستند بشكل مجرد على اساس زراعي ، والجهد من اجل التأثير في تحسين وإصلاح الزراعة المحلية ضرورياً . وللالتقاء مع تلك المتطلبات أُقيمت المعاهد ، ونظمت كوادر زراعية ، واتخذت المعايير في التوكولاند في عام 1900م من اجل جلب والتوسع في زراعة القطن والتي أصبحت معياراً أساسياً للعمل التجريبي الزراعي في المستعمرات الأفريقية الاستوائية الأخرى في الكاميرون وشرق أفريقيا[68] .

## عاشراً: وزارة الزراعة في الكاميرون

بقي المعهد التجريبي للزراعة في إقليم فكتوريا مركزاً لكامل العمل التجريبي – Institute of Agriculture– في الكاميرون لحين عام 1911م ، حينما أوجدت الحكومة الاستعمارية وزارة الزراعة في منطقة بويا لمعالجة كل المسائل المتعلقة بالتنظيم ، في حين واصلت مؤسسة فكتوريا تبني البحوث التقنية والعلمية . في البداية كان العمل التجريبي الزراعي مُكرساً لتقييم الصناعة الانباتية في جبال الكاميرون بسبب كانت المستعمرة مفتوحة ، برزت مشاكل جديدة[69] . فالاستغلال الجائر لأشجار المطاط من نوع فانتاميا – Funtumia Elastica– وعروق اللاندوفيا – Landophia– في الغابات قاد الى إقامة مفتشية خاصة على المطاط، وتم اتخاذ الترتيبات المختلفة من اجل تطوير كل فروع الزراعة المحلية . أوجدت حدائق تجريبية صغيرة خاصة في محطات إدارية أكبر في الأراضي الداخلية ووضعت تحت ادارة مُزارع أوربي أو بستاني ، لكي يهتم بالزراعة التي يقوم بها السكان المحليين من أجل انتاج أفضل للتصدير[70] . فيما بعد أُقيمت مفتشية للكاكاو من أجل تنظيم الزراعة المحلية للكاكاو في مقاطعات تكون فيها المزارع الأوربية للكاكاو غير موجودة ، ومحطة تجريبية أخرى أقيمت في منطقة جاونده – Jaunde– لتشجيع زراعة محاصيل الجوز البري، الموز الهندي او الافريقي . Manioc من أجل التصدير . في منطقة كوتي – Kuti– ، وبيتوا – Pittoa– أُقيمت محطتين زراعيتين تجريبيتين ، بالدرجة الأولى لزراعة القطن ، لكن لفروع أخرى من الزراعة ، بما فيها تربية الماشية والقطعان ، كانت من ضمن برنامج عمل تلك المحطات . في عام 1913م تألف الكادر الزراعي من 14 شخص من الدرجة الأولى ، وسبعة أشخاص من موظفي الدرجة الثانية ، و28 شخصاً من موظفي الدرجة الثالثة[71] .

وبفعل ذلك تألف المعهد المقام في فكتوريا من حديقة نباتية ومختبرات نباتية وكيمياوية ، وتضمن العمل المنُفذ هناك على زراعة نباتات اقتصادية استوائية ، وتجارب في الثقافة الزراعية والتسميد ... الخ . منذ عام 1910م لقي سكان محليين شباب تدريباً ليكونوا مدراء مزارع في المدرسة

الزراعية التي على صلة بالمعهد . في محطات تربية قطعان الحيوانات في مقاطعات بويا ، ودسجانك ودجوتيتسا – Djuttitsa– في مقاطعة دسجانك ، وفي جاوندة – Jaunde– ، فان تربية ثيران الكاو – Allgau Bulls– وتجارب التكثير بواسطة ثيران الكاو والابقار ذات السنام المحلية كانت منفذة بهدف الحصول على قطعان من اجل العديد من المقاطعات وتجهيز اللحم والألبان للأوربيين[72] . في مدرسة دسجانك الزراعية ، كان السكان المحليين الشباب يتلقون تدريباً على استخدام المحراث والأساليب المنطقية الأخرى في الزراعة .في محطة كوتي ، في مقاطعة باموم – Bamum– ، ومحطة بيتاو – Pittao– في مقاطعة آدامانا ، كان التقدم في زراعة القطن يعتبر دراسة رئيسية فيها ، لكن برامج العمل تضمنت أيضاً تجارب زراعية مقارنة للحبوب ، والمحاصيل ، الأعلاف المحلية ، استخدام المحراث ، تجارب التدوير والتسميد، وتربية القطعان وتكثير والحفاظ عليها ، وتدريب مرشدين من السكان المحليين متنقلين[73].

وحول الموضوع نفسه أقامت مفتشية المطاط محطات لزراعة المطاط في سانكماليما –Sangmalima– (مقاطعة إيبولوا– Ebolowa) ، وأكونولينكا –Akonolinga– (مقاطعة جاونده – Jaunda) ، ودومه (مقاطعة دومه– Dume) ودجاجوستن – Djahposten– (مقاطعة لوميه) ، ليشتمل العمل على توزيع نباتات الفانتاميا Funtumia والهيفا Hevea على السكان المحليين ، والإشراف على مزارع جديدة ، تكثير المطاط البري الذي أستُنفذ عبر الاستهلاك والاستغلال الجائر ، وتوجيه السكان المحليين على عملية نقر وتخديش اشجار المطاط وتحضير المطاط وحفظه[74] .

والملفت للنظر لأجل التعامل بشكل مناسب مع المسائل الزراعية التي برزت محلياً في مختلف المقاطعات ، فقد أمتلكت معظم المحطات الإدارية –بمعزل عن الحدائق التجريبية المُقامة– كان واجب الموظفين الزراعيين كان واجبهم الاشراف على الحقول والحدائق التجريبية . وتم توظيف وتكليف هكذا موظفين في أماكن أخرى في إقليم دوالا ، إيديا –Edea– ، بارا –Bara–، يوكو –Yoko– وباميدندا –Bamenda– ، فالهدف الرئيس من الحدائق التجريبية في تلك الأماكن هو تطوير الزراعة من أجل ناتج صالح ومهيئاً للتصدير ، في حين كانت التجارب المجراة على نباتات أقتصادية أجنبية ، وحصاد منتج صالح للتصدير من ضمن الإجراءات المتبعة[75] .

**الخاتمة :**

عوداً على ما ذكر في هذا البحث من مفردات تفصيلية تعلقت بالموارد الطبيعية للكاميرون يمكننا استلهام أهم الاستنتاجات التي تخص وتلخص المحاور التي تطرقت إليها هذه الورقة البحثية . فقد تكشف لنا الاهتمام الكبير والمتميز الذي أبداه الاستعمار الألماني بالزراعة والثروة الحيوانية والموارد الطبيعية الأخرى في الكاميرون .

تمخض هذا الاهتمام عن تنامي في معدلات المنتوجات والمحاصيل الزراعية التي اشتملت على جوز الهند ، زيت النخيل ، القطن ، المطاط ، القهوة ، الكاكاو ، الخنشار والبلوط ، الأخشاب على أنواعها، الجوز، العلك العربي، محاصيل الحبوب، الذرة (الشامية) الحلوة، الموز، البطاطا، النشاء، الكولا، السمسم، التبغ، فواكه متنوعة، نباتات درنية، الدخن، الرز، الفانيلا، الفلفل، جوز الطيب، الدارسين (القرفة) ، أنواع مختلفة من البهارات ، النباتات الليفية ... الخ . أهتم الاستعمار الألماني بالثروة الحيوانية وعمل على تحسين نسلها وإيجاد أمصال ضد الأمراض الفتاكة التي تصيبها ، ولأجل تحسين سلالاتها وتكثيرها بأعداد كبيرة والاستفادة من منتجاتها صناعياً .

أما جانب التعدين فقد شهد هو الآخر اهتماماً كبيراً من قبل الحكومة الاستعمارية الألمانية التي سعت جاهدة في استخراج المعادن الثمينة وتلك التي تدخل في مجال الصناعة مثل الحديد ، الرصاص، الفضة ، الميكا ، الكوارتز ... الخ ، بالإضافة إلى العاج .

**الهوامش :**

(1) Ardener, Shirley, and Warmington, W.A., Plantation and Village in The Cameroons: Some Economic and Social Studies (London, 1960), P. 754 .
(2) Friedjung, H., Das Zeitalter des Imperialism (Berlin, 1922, 3vols), vol.1, P. 148 .
(3) Ibid., P. 149 .
(4) Friedjung, H., Das Zeitalter des Imperialism (Berlin, 1922, 3 Vols), Vol.i, P. 148 .
(5) Ardener Shirley, and Warmington, op. cit., P. 155.
(6) Ibid., P. 149 .
(7) Ibid., P. 149-150 .
(8) Ardener Shirley, and Warmington, op. cit., p. 150 .
(9) Peters, K., Die Crandung Von Deutsch-Ostafrica Berin, 1906, Lebenserinnerangen (Hamburg, 1918), P. 147 .
(10) Sander, L., op. cit., P. 311 .
(11) Ibid., P. 312 .
(12) Hubbe, Schleiden, Deutsche Kolonisation (Hamburg, 1881) P. 53 .
(13) Ibid., P. 54 .
(14) Keltie, A., Colonization, New York, 1908, P. 443 .
(15) Ibid., P.444.
(16) Schant, M., op. cit., P. 160 .
(17) Schant, M., op. cit., P. 161 .
(18) Bertram, Sir Antony, op. cit., P. 83 .
(19) Jeffries, Sir Charles. J., op. cit., P. 139 .
(20) Jeffries, Sir Charles. J., op. cit., P. 140 .
(21) Schreuder, D. M., op. cit., P. 171 .
(22) Ibid., P. 112
(23) Oliver, Roland and Almore, Anthony, op. cit., P. 193 .
(24) Oliver, Roland and Almore, Anthony, op. cit., P. 193 .
(25) Crowder Michael, op. cit., P. 81 .

(26) Ibid., P. 82 .
(27) Feuchtwanger, Ed, Imperial Germany (1850-1918) , May2, 2001, P. 99 .
(28) Ibid., P. 99
(29) Ibid., P. 99-100 .
(30) Ibid., P. 101 .
(31) Hunt, Robert C., and Antonio Gilman, Property in Economic Context. Lanham, Md. (University Press of America, 1998) , P. 88 .
(32) Last, Murray, "The Importance of Knowing about not-Knowing (University of California Press) , 1988, P. 130 .
(33) Last, Murray, op. cit., P. 130 .
(34) Ibid., P. 131 .
(35) Oliver, Roland and Almore, Anthony, op. cit., P. 209 .
(36) Hill, Polly, Development Economics on Trial (Cambridge: Cambridge University Press, 1986) , P. 71 .
(37) Hill, Polly, Dry Graun Farming Families (Cambridge University Press, 1982), P. 213 .
(38) Ibid., P. 214 .
(39) George, Henry, The Land Question: What it Involves and how Alone it Can be Settled (Garden City, N. Y.: Doubleday, 1930), P. 184 .
(40) Ibid., P. 184.
(41) Herbst, Jeffrey, States and Power in Africa (Princeton University Press, 2000), P. 33 .
(42) Cooper, Frederick, Modernizing Bureaucrats, Backwards Africans, and The Development Concept (University of California Press, 1977), P. 92 .
(43) Peters, K., op. cit., P. 178 .
(44) Ibid., P.179 .
(45) Alexander, J. E., An Expedition of Discovery into the Interior of Africa (Cap Town: Struik, 1967), P. 241 .
(46) Ardener, Shirley and Warninton, W. A., op. cit., P.760 .
(47) Ibid., P.760
(48) Friedjung, H., op. cit., P. 160 .
(49) Ibid., P. 161
(50) Ibid. P. 162 .
(51) Alans, Kirsten, Living With thePast (1989), P. 303 .
(52) Peters, K., op. cit., P. 307 .
(53) Ibid., P. 308 .
(54) Andersson, C. J. Notes of Travel in west Africa Ced. L. Loyd (London, 1875), P. 221 .
(55) Amery, L. S. The German Colonial Claim (London, 1939), P. 154
(56) Ibid., P. 155 .
(57) Althusser, Louis, Correspondence With Jacques Lacan (New York, 1996), P. 142 .
(58) Ibid., P. 143 .
(59) Andersson, Charles, Notes of Travel in West Africa (Cape Town, C. Struik, 1969), P. 129 .
(60) Ibid., P. 130 .
(61) Hubbe, Schleiden, op, cit ., P.73 .
(62) Kiltie, A., op. cit., P. 465 .
(63) Kiltie, A., op. cit., P. 465 .
(64) Ibid., P. 466 .

(65) Ibid., P. 312.
(66) Durkheim, Emile. The Division of Labor in Society, Trans. George Simpson, Glencoe, III: (Free Press, 1933), P. 101 .
(67) Schant, M., op. cit., P. 194 .
(68) Ibid., P. 195 .
(69) Sir Anton Bertram, op. cit., P. 98 .
(70) Sir Anton Bertram, op. cit., P. 98 .
(71) Weber, Max, The Theory of Social and Economic Organization. Trans. Alexander Morell (New York: Oxford University Press, 1947), P. 56 .
(72) Young, Crawford. The African Colonial State in Comparative Perspective (New Haven, Conn. Yale University Presm, 1994), P. 252 .
(73) Ibid., P. 253.
(74) Ibid., P. 253 .
(75) Crowder Michael, op. cit., P. 111.

## المصادر والمراجع

1- Alans, Kirsten, Living With the Past (1989) .
2- Alexander, J. E., An Expedition of Discovery into the Interior of Africa (Cap Town: Struik, 1967) .
3- Althusser, Louis, Correspondence With Jacques Lacan (New York, 1996).
4- Amery, L. S. The German Colonial Claim (London, 1939).
5- Andersson, C. J. Notes of Travel in west Africa Ced. L. Loyd (London, 1875).
6- Andersson, Charles, Notes of Travel in West Africa (Cape Town, C. Struik, 1969).
7- Ardener, Shirley, and Warmington, W.A., Plantation and Village in The Cameroons: Some Economic and Social Studies (London, 1960).
8- Bertram, Sir Anton, The Colonial Service (London, 1930) .
9- Cooper, Frederick, Modernizing Bureaucrats, Backwards Africans, and The Development Concept (University of California Press, 1977).
10- Crowder Michael, Colonial west Africa: Collected Essays-(dan 12, 1918) .
11- Durkheim, Emile. The Division of Labor in Society, Trans. George Simpson, Glencoe, III: (Free Press, 1933).
12- Feuchtwanger, Ed, Imperial Germany (1850-1918) , May2, 2001.
13- Friedjung, H., Das Zeitalter des Imperialism (Berlin, 1922, 3 Vols).
14- George, Henry, The Land Question: What it Involves and how Alone it Can be Settled (Garden City, N. Y.: Doubleday, 1930).
15- Herbst, Jeffrey, States and Power in Africa (Princeton University Press, 2000).

16- Hill, Polly, Development Economics on Trial (Cambridge: Cambridge University Press, 1986) .
17- Hill, Polly, Dry Graun Farming Families (Cambridge University Press, 1982).
18- Hubbe, Schleiden, Deutsche Kolonisation (Hamburg, 1881).
19- Hunt, Robert C., and Antonio Gilman, Property in Economic Context. Lanham, Md. (University Press of America, 1998) .
20- Keltie, A., Colonization, New York, 1908.
21- Last, Murray, "The Importance of Knowing about not-Knowing (University of California Press) , 1988 .
22- Oliver, Roland and Atmere, Anthony, Africa since 1800 (London, 1994).
23- Peters, K., Die Grundung von Deutsch- Ostafrica Berlin, 1906, Lebenserinnerangen (Hamburg, 1918) .
24- Sanders, L., Geschichta der Deutschen Sud-wast Africa, Kolonigigesellchaft (Berlin, 1912) .
25- Schantz, M., Lecole Coloniale Allmonde de Witzenhausen (Brussels, 1914) .
26- Schreuder, D. M., Deutsche Kolonisation , Hamburg, 1881.
27- Weber, Max, The Theory of Social and Economic Organization. Trans. Alexander Morell (New York: Oxford University Press, 1947) .
28- Young, Crawford. The African Colonial State in Comparative Perspective (New Haven, Conn. Yale University Presm, 1994) .

## Abstract

This paper discussed the interest which shown by the German colonization in Cameroon, in the natural resources. It dealt with details to the ways of this interest through enough explanation of the agricultural programs and others relate to animal resources, which led to improve this resource, increase its production in quantity and quality. Also, this research discussed types of plants and what they produce in correct and accurate numbers documented in the official registers of Germany. The research didn't forget mentioning the role of the scientific researches in saving lives of great numbers of animals which were perished by plagues, and increase their numbers by Improving their qualities. The German colonization interested also in the mineral resource and mining, so they discovered many minerals of commercial important in large quantities which they used in different industries .